

المدخل إلى دراسة أحاديث الأحكام

أولاً - خصائص التشريع في السنة النبوية :

أ - خصائص مشتركة مع القرآن :

خصائص التشريع في السنة النبوية منها خصائص للتشريع في القرآن الكريم ،
ومنها خصائص انفردت بها السنة ، تُكوّن في مجموعها خصائص التشريع الإسلامي ،
نسرّد طائفة مهمة من خصائص التشريع في القرآن والسنة فيما يأتي :

١ - الشمول : أي شمول كل جوانب السلوك .

٢ - العموم : لكل الناس في أي طبقة وفي أي زمان أو مكان .

٣ - المرونة : بما يفسّح المجال لمراعاة أحوال الناس ولا سيما الاستثنائية .

٤ - التدرج في التشريع .

٥ - التوفيق بين مصلحة الفرد وحقوقه ، ومصلحة المجتمع وحقوقه .

٦ - الموضوعية في التشريع : فقد بُنيت الأحكام على اعتبارات ثابتة تدور عليها ،
فالواجبات تلزم كل من استوفى شروط وجوبها ، والحقوق لا يميز فيها أحد على أحد ،
والعقوبات تُقام على الجميع ، لا فرق بين أمير وحقير ، ولا بين غني وفقير . كذلك
المحرمات والمباحات تنبع من صفة الطيب والخبيث ، وهكذا .

٧ - رعاية جانبي الروح والجسد : فحرم الرهبانية وأمر بالزواج ، وأباح المباحات
وحرم الإسراف فيها ، وحرم الزنا والخمر والقمار ، وأباح الكسب الحلال .

٨ - ربط الأحكام والتكاليف بالإيمان بالله ورسوله ، وبعاطفة المؤمن الإيمانية بالله
ورسوله ، ومحبة المؤمن وهيبته من الله تعالى .

٩ - بيان حكمة التشريع ومقاصده ، بأن الحكم يؤدي إلى التقوى ، أو يرتبط بها ، ويحقق الفلاح أو يتوقف عليه الفلاح ، ووصف دعوة الإسلام كلها أنها كما قال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤/٨] .

١٠ - مراعاة المناسبات الواقعية : (أسباب نزول القرآن) و (أسباب ورود الحديث) ؛ لما أنها تؤثر في حسن تقبل الأحكام المتعلقة بها .

١١ - اتساق أحكام الشرع في القرآن والسنة مع بعضها ، وخلوها من التناقض والتعارض .

١٢ - سمو التشريع في القرآن والحديث على كل قانون عرفته الأمم قديمها وحديثها^(١) ، حتى أقرت المجامع القانونية الدولية الفقه الإسلامي مصدراً أساسياً تقتبس منه القوانين .

وقد شرحنا جملة من هذه الخصائص في صدر كتابنا « آيات الأحكام »^(٢) ، ونشير هنا إلى هذه الخصائص اعتماداً على فطنة القارئ في التفهم .

ب - خصائص تميزت بها السنة :

ويختص منهج التشريع في السنة النبوية بخصائص أخرى ، وذلك لكون القرآن كالدستور ، والسنة شارحة له . ومن أوجه ذلك :

١ - بيان المجمال في القرآن ، وهو كثير ، مثل تفصيل أحكام الصلوات ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والمعاملات المالية ، وغيرها ، مثل بيان مواقيت الصلاة ، وركعات كل صلاة ، وكيفية الركعة ، وأنصبة الزكاة ، وكل يجب في كل نوع ، وعدد الطواف ،

(١) انظر مثلاً قضايا المرأة والزواج والطلاق في كتابنا (ماذا عن المرأة) ، وانظر قضايا الميراث في كتاب (المعجزة الكبرى) لفضيلة الأستاذ العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله : ٤٥٤ - ٥٤٧ .

(٢) الصفحات ١١ - ٢١ . ونوه إلى سعة هذه العناوين ، بما يحتاج استيفاء كل منها إلى بحث مطول .

ووقت الوقوف بعرفة . وغير ذلك كثير . حتى أصبح - من هذا الوجه وحده - ادعاءً العمل بالقرآن دون السنة حيلة منافق مخادع مكشوفة ، أو جهالة جاهل أتر مفضوحة .

٢ - توضيح المشكل وإزالة الوهم عنه ، أو بيان معنى لفظ أو مُتَعَلِّقَه ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة : ١٨٧/٢] فسرتة السنة الصحيحة المستفيضة في الصحيحين وغيرها بأنه بياض النهار وسواد الليل .

٣ - تقييد المطلق ، كقوله تعالى في عقوبة السرقة : ﴿ فَاقْطِعُوا أُيُدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٢٨/٥] ، بينت السنة أنها اليد اليمنى ، وإلى الرسغ فقط .

٤ - تخصيص العام ، مثل آيات عقوبات الجنايات : القصاص والحدود ، استثنت السنة منها مَنْ له شُبْهَةٌ : « ادروا الحدود بالشبّهات » ، وغير ذلك . ومثل آيات تعميم الإباحة لأكل غير ما ذكر تحريمه في القرآن ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٢/٢] . استثنت السنة وَحَرَّمَ كُلَّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ .

٥ - بيان أحكام غير منصوص عليها في القرآن ، مثل صدقة الفطر ، وتحريم لبس الذهب والحريير الطبيعي على الرجال وإباحتها للنساء ، وغير ذلك .

٦ - تأكيد ما جاء به القرآن وتعميقه في القلب . وهو كثير جداً لا يخلو من جملة وافرة منه بابٌ من أبواب السُّنَّةِ .

ثانياً - أهم المصنفات في أحاديث الأحكام :

يجب أن تعلم أخي القارئ أن السلوك الإسلامي الصحيح في العبادات أو